



## الاتصال الوثائقي بين العلماء ببلاد الأندلس

### في ضوء كتاب الصلة لابن بشكوال

#### Documentary communication between scholars in Andalusia In light of Ibn Bachakwal's book Al-Sila

صورية متاجر (\*)

مخبر البحوث و الدراسات الإستشراقية

سيدي بلعباس

جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر

[sorayabiblio@gmail.com](mailto:sorayabiblio@gmail.com)

تاريخ النشر: 2025/12/28

تاريخ القبول: 2025/08/13

تاريخ الإيداع: 2025/07/04

#### الملخص:

تحاول هذه الدراسة تتبع ما قيده ابن بشكوال في كتابه الصلة ، سيما يا يتعلق بسيرة العلماء و الاتصالات المعرفية و الثقافية بينهم. كما تهدف هذه الدراسة إلى رصد و حصر الإنتاج الفكري الأندلسي من كتب و مصنوعات و حلقات التدريس في المدن الأندلسية. و المراكز الثقافية في اطار الرحلة العلمية بمختلف مساراتها الجغرافية ، داخل و خارج الأندلس، و ما أنتجه عالم علماء الأندلس من معارف مختلفة تمحورت في شتى المعارف الإنسانية.

#### الكلمات الدالة:

الأندلس، ابن بشكوال، العلوم، المراكز الثقافية.

#### Abstract:

This study attempts to trace the writings of Ibn Bachakwal in his book, Al-Sila, particularly those related to the biographies of scholars and their intellectual and cultural exchanges. It also aims to identify and catalog the Andalusian intellectual output, including books, treatises, and teaching circles in Andalusian cities and cultural centers, within the context of scholarly journeys across various geographical regions, both within and outside Andalusia. Furthermore, it seeks to examine the

(\*) المؤلف المرسل: صورية متاجر : [sorayabiblio@gmail.com](mailto:sorayabiblio@gmail.com)



diverse body of knowledge produced by Andalusian scholars, encompassing a wide range of humanistic disciplines.

**Key Words:**

Andalusia, Bachakwal, Science, Cultural Centers.

\*\*\*\*\*

**مقدمة**

خلدت الذاكرة الأندلسية علماءها و تراثهم الثقافي ، عبر سلسلة من المدونات التاريخية . عرفت باسم التراجم و الصلات. و قد برع الرواة الأندلسيين في هذا المجال المعرفي بدقة في غاية الأهمية. و تأتي هذه الدراسة في تتبع سياقات هذا الإنتاج المعرفي و ضبطه وفق منهج علم المكتبات. و قد استقرأنا النصوص الواردة في تراجم ابن بشكوال عبر محطات تاريخية مهمة في عالم علماء الأندلس. تهدف هذه الدراسة إلى حصر الإنتاج العلمي للعلماء و المشايخ من خلال كتاب الصلة لابن بشكوال وفق منهج يتماشى مع مناهج علم التاريخ و علم المكتبات. بسقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م فقدت الأندلس وحدتها السياسية، وانقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة مستقلة أطلق عليها المؤرخون اسم "دويلات الطوائف"، ويعرف رؤسائها بملوك الطوائف، وهم ما بين زعيم قبيلة، أو صاحب نفوذ، أو حاكم إداري أو وزير سابق أو شيخ قضاء<sup>(1)</sup>، وقد استغل هؤلاء حالة البلاد السياسية فبسطوا نفوذهم على المناطق التي توالهم، وعملوا جميعاً على تأسيس هذه الكيانات والحفاظ عليها في أسرهم<sup>(2)</sup>. أطلق الأندلسيون على مرحلة الفتنة اسم "البربرية" بسبب الدور الكبير الحاسم الذي قامت به فيها العناصر البربرية في جيوش الخلافة، وقد بدأت هذه الحرب الأهلية بعد وفاة عبد الملك المظفر بن المنصور العامري (392-399هـ/1002-1008م)، وخلال هذه الفتنة قتل ابن الفرضي (403هـ/1003م) الذي يعتبر شاهد لهذه المرحلة، في الصراع الجغرافي للحفاظ على الذاتية الثقافية التي احتكرتها قرطبة الأموية.

انقسمت الأندلس من الناحية الإقليمية إلى عدة مناطق قامت فيها أهم دويلات الطوائف. وبعد عصرهم من أكثر عصور التاريخ الأندلسي تعقيداً وتشابكاً واضطراباً، ففيه انفرط عقد البلاد، واقتسمتها نحو ستين دويلة في عصر لا يتجاوز نحو ستين سنة (244-484هـ/1031-1091م).

1-حياته:



هو أبو القاسم، خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال بن يوسف بن داحة بن نصر بن عبد الكريم بن وافد الخزرجي الأنصاري، القرطبي، الأندلسي محدث، حافظ، مؤرخ، شاعر، مشارك في أنواع العلوم ولد بقرطبة في ذي الحجة من عام 494هـ/1101م، في بيئة علمية فكان جرياً به وقد نشأ في جو تجذبه الحركة العلمية الأندلسية وأن تدفعه بعد السماع والرواية والتحصيل إلى التصنيف والتأليف. كان عالماً بالفقه والأصول، متكلماً متبحراً في علم الكلام.<sup>(3)</sup> وفي غمرة نشاطه العلمي تولى ابن بشكوال القضاء في جهات إشبيلية فتنامت قدراته الثقافية بلقائه المزيد من رجال الحديث والفقه والقراءة والحديث، ثم اعتزل القضاء، وعكف على الاشتغال بالعلم رواية واستماعاً وتعليماً، عمر طويلاً وتوفي في شهر رمضان سنة 578هـ/1183م بقرطبة.

قال عنه ابن الأبار: "كان متسع الرواية شديد العناية بها عارفاً بوجوهها حجة مقدما على أهل وقته حافظاً حافلاً إخبارياً تاريخياً ذاكراً لأخبار الأندلس القديمة والحديث، سمع العالي و النازل، وأسند عن شيوخه نيفاً وأربعمئة كتاب بين صغير وكبير، ورحل إليه الناس وأخذوا عنه، وثنا جماعة و وصفوه بصلاح الدخلة وسلامة الباطن وصحة التواضع وصدق الصبر للطلبة وطول الاحتمال. ألف خمسين تأليفاً في أنواع العلم."<sup>(4)</sup>

2- آثاره:

لابن بشكوال تصانيف كثيرة في التاريخ والفقه والحديث والأخبار والتراجم، بلغت الخمسين مؤلفاً، نذكر منها:<sup>(5)</sup>

أ- كتاب الصلة وذيل لكتاب "تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد بن الفرضي.

ب- كتاب المستغنين بالله تعالى عند المهمات والحاجات.

ج- كتاب رواة "الموطأ" لمالك أنس (ت: 179هـ/795م).

د- كتاب تاريخ في أحوال الأندلس.<sup>(6)</sup>

أولاً: ملامح الاتصال الوثائقي عند ابن بشكوال: قراءة منهجية و بيبليوغرافية.

يعد كتاب "الصلة" لابن بشكوال مواصلة لكتاب "تاريخ العلماء" لابن الفرضي، وامتداد لما في الكتاب من ضوابط أهمها الالتزام بالحديث عن العلماء الأندلسيين والوافدين على الأندلس من الغرباء والجنوح للاقتصار على معطيات تتعلق بالمسيرة العلمية للمتخرج لهم، بذكر أسماء شيوخهم وأسماء تلاميذهم وما عرفوا به في حياتهم العلمية والاجتماعية. وتكمن أهمية



كتاب "الصلة" في الفترة التي تحدث عنها ، وهي النصف الثاني من القرن الرابع و كامل القرن الخامس و النصف الأول من القرن السادس للهجرة، وهي فترة اضطراب و محن و نكبات ارتبطت باسم "الفتنة". وإذا كنا نجد في نهاية الجزء الأول ونهاية الكتاب ما يدل على أن الفراغ من كتابته كان سنة 534هـ، وهو ما ذهب إليه ابن أبي شنب و هويسى ميراندا<sup>(7)</sup>. فإن الكتاب ما ينم عن الفترة الزمنية التي يتصل بها تجاوزات هذا التاريخ، إذ نجد إشارات إلى سنة 536هـ و سنة 537هـ، و سنة 538هـ، و سنة 542هـ، و سنة 544هـ، و سنة 546هـ، و سنة 547هـ، و سنة 551هـ، و سنة 564هـ/1169م، فهل هي من زيادات التلاميذ أو الوراقين، أم من زيادات المؤلف الذي توفي سنة 578هـ و مهما يكن من أمر فإن عددا من المعطيات يتجاوز التاريخ النهائي المتفق عليه-وهو سنة 534هـ-بما يقارب ثلاثين سنة.

توفي ابن بشكوال سنة 578هـ/1183م، لكن تراجمه البيوغرافية وصلت إلى غاية 564هـ/1169م، و تناقصت في السنوات الأخيرة من الكتاب، (عشرات بعد سنة 545هـ). لذلك تم الاعتماد على الفترة التي تتراوح ما بين 525-545هـ/1131-1150م، لكي نحصل على كثافة من العلماء تكون قابلة للتحليل، إذ اعتمدنا على تراجم 300 عالم من مجموع: 1544، دون الاهتمام بالتراجم الأخرى التي تقتضي بيانات أوفر للمترجم لهم. ولكنها تظل محدودة نسبيا، وهذه الإجراءات المنهجية سادت في المجالين الزماني و المكاني للأندلس. لأننا إذا وظفنا جميع التراجم الموجودة "بالصلة" ، وقتها سنكون أمام صعوبة منهجية ، و بالتالي نجد أنفسنا أمام بيبليوغرافيا أضخم. وعليه تم الصعود إلى مرحلة (525-545هـ/1131-1150م) لتأكيد التحليل الببليوغرافي لعمليات الاتصال الثقافي والفكري بين العلماء.

إن الأزمة المرابطية بالأندلس جاءت بعد انهزامهم في شرق الأندلس عند قرية قلبيرة (Culera) سنة (523هـ/1129م) أمام القوات المسيحية، وتأسيس دويلات طوائف جديدة ما بين (539-549هـ/1144-1154م). لقد تم حساب معدلات الحياة عند علماء الأندلس على ضوء ابن بشكوال، مستبعدين حياة المشاق، والجهاد و الحروب، و الفتن، و العلماء الشهداء، أو الذين تعرضوا للاغتيالات و السجن و النفي من طرف الحكام. لقد وصل عدد العلماء الذين قام ابن بشكوال بالترجمة لهم إلى 1544 عالما، ما بين محدث و فقيه و قاض و أديب، و هذا الخليط يوضح أن ابن بشكوال كان له إدراك واسع و شمولي لمفهوم العالم. وقد وجه عنايته نحو الجانب الأخلاقي و السلوكي للعلماء، و قصص نشأته و مراحل دراسته و الشيوخ الذين



روى عنهم، و الكتب التي ألفها، ورتب المترجمين على حروف المعجم، و ختم مؤلفه بـ 16 ترجمة للنساء العالمات.

لقد حاولنا القيام بإحصاء لأصول المترجم لهم في الصلة رغم الصعوبات المنهجية، حيث احتل ذوو الأصول القرطبية مركز الصدارة قبل طليطلة وإشبيلية، نظرا لانتماء مؤرخنا لهذه المدينة، و نظرا للدور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي لعبته خلال هذه الفترة، و الأحداث الخطيرة التي شهدتها. ما تجب الإشارة إليه في هذا الصدد، أن هناك صعوبات اعترضت هذا الإحصاء الكمي وتتمثل فيما يلي:

- غياب ذكر المكان سواء الولادة أو الوفاة في عدد كبير من التراجم.
- صعوبة تحديد مكان انتماء المترجم<sup>(8)</sup>.
- الاختصار على ذكر مكان الوفاة دون ذكر مكان الولادة<sup>(9)</sup>.
- ذكر اسم العالم بصفته أندلسي من دون تحديد بلده، مما يحتم علينا البحث في مصادر أخرى<sup>(10)</sup>.

إن محتوى كتاب الصلة من خلال هذا العرض أثبت صورة للتعبير التاريخي، ويرى ابن عبيد: " بأن كتب السير والتراجم تعد نوعا من الكتب التاريخية التي لم تعط العناية الكافية بصفاتها نوعا أندلسيا خاص".<sup>(11)</sup> والسؤال الذي يطرح هو: ماذا قدمت لنا الصلة من معلومات حول موضوع العنف والمعارضة بالأندلس خلال الفترة التي أرخت للأندلس؟

- يقدم لنا كتاب "الصلة"، معطيات عن الأسر الحاكمة وصراعاتها حول السلطة.
- قدمت لنا معطيات عن السجن والنفي والتغريب والفرار.
- تعرض كثير من الفقهاء والقضاة لمختلف أشكال العنف، بسبب معارضتهم لأنظمة الحكم أو ميولا تهم السياسية.

إن تطبيق المنهج الكمي على مؤلف ابن بشكوال من خلال المنهج السابق في مجال متوسط عمر العلماء المترجمين لهم، والتمركز السكاني، ومعدل أمد الحياة، يجعلنا نقدم جدولا يبين بالكم أنواع مظاهر العنف الواردة بالصلة:



### جدول رقم(1) مظاهر العنف الواردة عند ابن بشكوال

| نوع<br>العنف | القتل | الاغتيال | المثلثة | الذبح | السجن | التهجير-النفى-<br>الفرار | المجموع |
|--------------|-------|----------|---------|-------|-------|--------------------------|---------|
| العدد        | 24    | 3        | 3       | 4     | 10    | 25                       | 69      |

ما يلاحظ في هذا الجدول أن ابن بشكوال ركز على الجانب السلوكي و الأخلاقي للمتجرم، فمظاهر العنف عند ابن بشكوال تمثلت في السجن: إذ تعرض لهذا النوع من العنف، حكما ووزراء وقضاة وفقهاء، كابن الوليد بن جهور دون ذكر سبب الاعتقال ولا المدة.<sup>(12)</sup> وقدم لنا معطيات عن المنافسة التي جرت بين يعيش بن محمد وأحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري، اللذان انتهت إليهما رئاسة طليطلة، فدبر الأول محاولة اغتياله كي ينفرد بالسلطة، فتم ذلك ، وذكر ابن حيان أنه مات معتقلا بشنترين مسموما سنة 403هـ.<sup>(13)</sup>

ذكر ابن بشكوال وفاة الوزير أبي الحسن مغيث سجيننا بإشبيلية سنة 469هـ/1077م في سجون بني عباد<sup>(14)</sup>، عن سن تناهز 76 سنة. كما سجن بعض الفقهاء لميولاتهم السياسية المخالفة لنظام الحكم القائم، ففي سياق عام لسياسة علي بن حمود و التي استهدفت التخلص من الفقهاء والقضاة الذي يساندون الخلافة الأموية يشير صاحب الصلة إلى سجن قاضي الجماعة بقرطبة أبي بكريحي بن وافد اللخمي(ت: 404هـ).<sup>(15)</sup>

كما توفي منكوبا في السجن حسب ابن بشكوال الفقيه عبد الله بن سعيد بن المحتشم (403هـ/1012م) وأسلم إلى أهله في قيوده.<sup>(16)</sup> كما أن قاضي الجماعة بقرطبة حسن بن محمد بن ذكوان(ت: 451هـ/1059م) فرضت عليه الإقامة الجبرية من طرف أبي الوليد محمد بن جهور،<sup>(17)</sup> بينما سجن محمد بن أحمد بن مخلد(ت: 470هـ/1077م) من طرف ابن عباد بعد طرد بني ذي النون من قرطبة.<sup>(18)</sup>

نستخلص أن السجن مثل أحد مظاهر العنف التي تناولها صاحب الصلة و التي شملت مختلف الشرائع الاجتماعية، بل أكثر من ذلك أشار إلى حالات الوفاة التي تمت ، بالرغم من إغفال حالات، و عدم تفصيل حالات. لقد أورد ابن بشكوال 24 ترجمة لفقهاء وأدباء تعرضوا للقتل. لا سيما أثناء الفتنة وبعدها ، خصوصا عند دخول البربر قرطبة سنة 403هـ/1012م. و منهم: أبو عمران موسى الزاهد(ت: 378هـ)،<sup>(19)</sup> و أحمد بن مطرف الجبني(ت: 400هـ)،<sup>(20)</sup>



و أبو عثمان سعيد بن الفزاز(ت: 400هـ). <sup>(21)</sup> و في عهد القاسم بن حمود قتل قاضي رية عريب بن مطرف من أهل قرطبة(ت: 409هـ/1018م). <sup>(22)</sup>

تناول ابن بشكوال إحدى أكبر الجرائم التي ارتكبتها المعتضد بالله، و المتمثلة في قتله الفقيه العالم عمر بن الحسن الهزوني من أهل إشبيلية" كان متفنا في العلوم... قتله المعتضد بالله عباد بن محمد ظلما بقصره بإشبيلية ودفنه به ليلة السبت 16 ربيع الثاني 460هـ. و تم قتله بيد الأمير ، وحيث دفنه بثيابه و قلنسوته و هيل عليه التراب داخل القصر من غير غسل و لا صلاة رحمة الله". <sup>(23)</sup> و من أشهر الاغتيالات التي أشار إليها ابن بشكوال والتي تمت في العهد المرابطي، اغتيال قاضي قرطبة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن الحاج . ففي 25 صفر عام 529هـ، تم اغتياله ، بعد ما انتهز القاتل فرصة سجود جميع المصلين ظهر الجمعة، وقام بطعن الضحية ظلما. <sup>(24)</sup>

ونستخلص في هذا الجانب المظلم، أن الصلة تقدم لنا معطيات في غاية الدقة عن التصفية الجسدية ، التي شملت عديد الفقهاء والقضاة بمختلف مناطق الأندلس . كقرطبة و طليطلة و إشبيلية. لقد صارت القوى المتصارعة بحاجة إلى سند شرعي يدعم صلاحيتها في حكم البلاد، هذا السند تجلى فيكثير من الأحيان في العنف والتنكيل و القتل. على ضوء كتاب الصلة يمكننا استخراج عناصر أساسية في إطار الاتصال الوثائقي للحركة الفكرية في عالم الأندلس، بحث إذا لامسنا العناصر الهامشية في الصلة لا نجد ذكر أحداث العالم الديني السني إلا في محطتين هما نحلة برغواطة . حيث ذكر ابن بشكوال أن خلفه بن تامصت بن يحيى البرغواطي قدم قرطبة سنة 476هـ، في أيام المأمون يحيى بن ذي النون لأخذ العلم في مجال القراءات. <sup>(25)</sup> و المحطة الثانية ذكره لمذهب ابن مسرة . <sup>(26)</sup> إذ ذكر عبد الوهاب بن منذر من أهل قرطبة ، <sup>(27)</sup> الذي كان من أتباع مذهب ابن مسرة و انحرف عن الفقهاء المالكيين. <sup>(28)</sup>

لقد ذكرت "الصلة" بعض شيوخ الأندلس عدة مرات في مجال الإجازة و الرواية و السماع، و في مراحل مختلفة، منها محمد بن عبد الله بن إبراهيم المري، المعروف : بابن زنين من أهل البيرة، توفي سنة 399هـ ذكر 8 مرات ما بين 420-440هـ، و 6 مرات ما بين 440-460هـ. <sup>(29)</sup> و ذكر عبد الله بن أبي عمر بن لب الطلمنكي 15 مرة خلال فترة 460هـ. و 24 مرة خلال 500هـ. <sup>(30)</sup> أما الشيخ محمد بن مكي بن أبي طالب من أهل قرطبة(ت: 474هـ)، فذكر 8 مرات قبل 460هـ، و 26 مرة في 500هـ. <sup>(31)</sup> و تكرر اسم العالم عبد الله بن يوسف بن محمد



بن عبد البر النميري(ت: 450هـ) 4 مرات في سنة 460هـ، وما بين 13 و 18 مرة خلال فترة 525هـ.<sup>(32)</sup>

حاولنا من خلال حصر الأرقام رسم جدول للحياة الثقافية بالأندلس من خلال ما صورته لنا ابن بشكوال ، وهو ما يعبر عن اهتمامات الاتصال الوثائقي للحضارة العربية الإسلامية من خلال الحكم البيوغرافي للتراجم.

#### ثانيا: دور العلماء في دورة الاتصال الوثائقي.

1- ظهرت كتب الصلات في الأندلس لضرورة ملحة ، مما أعطاها نوعا من الخصوصية الفكرية في الحضارة الإسلامية، فالكتابة لهذا النموذج (الصلات والتذييل) الذي أصبح حلقة متصلة في كتب التراجم الأندلسية، اتسم بإعطاء "هوية متصلة لفئات العلماء والفقهاء"، وتقول أصول هذا النموذج إلى ابن الفرضي الذي ذهب ضحية الفتنة البربرية بقرطبة.

2- حظي كتاب ابن الفرضي بعملية تذييل وإيصال من طرف ابن بشكوال، (الصلة في تاريخ أئمة الأندلس)، ثم نجد (التكملة لكتاب الصلة) لابن الأبار، وهذه الإيصالات هي التي حافظت على دورة الاتصال الثقافي والفكري بين علماء الأندلس عبر الفترات الزمنية.

3- من خلال استقراء بيانات تراجم صلة ابن بشكوال، تمكنا من استخراج مجموعة من الإحصائيات وذلك من أجل إمكانييتين اثنتين هما:  
أ- التجمعات الجغرافية لحقول العلوم الإسلامية.  
ب- أعداد العلماء في التجمعات الجغرافية.

وهذه الإمكانيات هي في حقيقة الأمر معطيات بيوغرافية، تتموقع منذ البداية على مستوى كمي لا كيفي، لأنه لا يحيل على كل مؤلفات الأشخاص الذين تم جردهم في كتاب الصلة.  
4- إن قبول كتب التراجم الاستجابة لمتطلبات التحليل العددي والمقاربة الكمية راجع بالدرجة الأولى إلى إمكان استعمالها "كاستمارة توثيقية معلوماتية"، ذلك أنه على الرغم من تباین "الأصناف الكتابية للترجمة" واختلاف نظام تقديمها بين مؤلف وآخر، فإن الترجمة تجمع في تركيبها مجموعة من الثوابت بقيت قائمة على طول مختلف الفترات والأمكنة أما المتغيرات الموجودة في الترجمة فإنها غالبا ما ترتبط بالأهمية مثل (الإطناب في لائحة الشيوخ، أو الاستطرادات، أو الإستشهادات)، من خلال التوجهات الثقافية لمدينة قرطبة.



اعتنى ابن بشكوال بتراجمه البيوغرافية أعلى درجات الاهتمام والعناية والضبط والإتقان، والمستوى الرفيع من القدرة على بناء قواعد المعرفة العلمية، وتوفير المادة التي تصلح لذلك، بعد أن اتسعت آفاق العلماء الأندلسيين، وتمكنوا من المساهمة في العناية بمعارفهم وحفظ ثقافتهم. ولم يقتصر هذا الاهتمام وتلك العناية، بل اتسع نطاق ذلك عند علماء الأندلس الذين أدركوا ضرورة وضع هذه البرامج لتحفظ فيها أسماء العلماء وعناوين الكتب، وتحدث عن أعمالهم وجهودهم، وتؤرخ للمراحل المتعاقبة للمعرفة، ولا سيما تلك الفترة التي بدأ الأندلسيون يشعرون معها بضرورة تقييد العلم العربي الإسلامي، خوفاً من الضياع والاندثار، والحفاظ عليها أمام الإسبان، الذين أصبحوا يحتلون المدن الأندلسية المدينة تلو المدينة، اعتباراً من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي.

واستدعى هذا الموقف من ابن بشكوال أن ضمت تراجمه على العناصر التالية:<sup>(33)</sup>

1. ذكر النسب-الكنية - الموطن.
  2. التركيز على الجانب العلمي: الحديث-الفقه - الرواية.
  3. سرد لصفات وطباع المترجم له.
  4. ذكر الشيوخ والعلماء الذين تتلمذ عليهم، سماعاً-إجازة - مناولة.
  5. الهجرة: داخل وخارج الأندلس.
  6. تاريخ ومكان الولادة والوفاة.
  7. التوسع في الترجمة للمشهورين من العلماء.
  8. إبراز دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
- إنّ القيام بمجرد استكشافي شامل للمؤلف البيوغرافي للصلة، يهدف للوصول إلى إعطاء نوع من الصورة "البانورامية" للتاريخ الثقافي والديني كما تعكسه لنا كتب التراجم، وعليه فإنّ التعامل مع الأدب البيوغرافي يترجم في الواقع مفهوماً مختلفين للحدث التاريخي:
- أ- لم يعد الحدث التاريخي يوجد مباشرة في الترجمة، وإنما أصبح الحدث نظرياً مستخلصاً بعد عمل طويل في تحليل معطيات التراجم.
- ب- لم تعد الترجمة إخبارية بما تحتوي عليه من معلومات جزئية، ولكن بما تمثله من حيث هي إنتاج فكري. ومثال الترجمة عند ابن بشكوال جاء على الشكل التالي: "الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد الغمري، من أهل سرقسطة، ألف كتاباً (الوجازة في



صحة القول بالإجازة)، وذكر أنه لقي في رحلته نيفا على ألف شيخ بين محدث وفقهه، وسمع منهم، كان ثقة أمينا، عالما فاضل، توفي سنة 392 هـ.<sup>(34)</sup>

كان اهتمام ابن بشكوال في التأليف قد تركز، اعتبارا من القرن الخامس الهجري على الاهتمام بالعلماء والتعريف بهم، وتسجيل مختلف طبقاتهم، وتحديد الروافد العلمية التي استقى منها هؤلاء المترجم لهم بذكر الشيوخ والرحلة والنشاط التأليفية. ونستنتج من كتاب الصلة لابن بشكوال واجهتين أساسيتين هما:

1. رصد مراكز التعليم: توضح معالم البيئة الثقافية من خلال الحديث عن مراكز التعليم، والاتجاهات العلمية السائدة، وتعيين العلماء المشرفين على هيئة التدريس.

2. مواد الدراسة: ترسم لنا الأجواء العلمية، والمواد المدرسة والمصنفات السائدة زمنئذ.

يلاحظ في هذا المجال أن أهل الأندلس كانوا تواقين إلى الزيادة في مداركهم والإستزادة من علم مشاهير الوقت مهما كلفهم ذلك من تضحيات ومشاق. وقد أثمرت الرحلات العلمية والحجبة معلومات قيمة عن إطارات الحياة الثقافية ببلاد الأندلس وعن علمائه والعلوم التي برزوا فيها. كما أن السمة المشتركة لهؤلاء الأعلام هي بحثهم عن العلم خارج أوطانهم الأصلية، والاحتكاك والاتصال بكبار الشيوخ. إضافة إلى ما ذكر، نجد في كتب التراجم معطيات غنية عن جو التبادل الثقافي داخل المجال الأندلسي، ولعل أول ما يبرز للعيان هو أن ظاهرة انتقال الأعلام، علماء وطلبة، داخل بلاد الأندلس لم تكن منحصرة في حاضرة من الحواضر بل كانت تتصل بالسمعة العلمية للشيوخ المقيمين بها، وهو ما رصدته لنا تراجم ابن بشكوال.

داخل هذا المجال الكبير لم تكن غربة فكرية ولا حنين، فالحركة الثقافية والعلمية تشهد على التكامل والشعور بالانتماء إلى وطن واحد كما أن الوطن الفعلي للعالم والمدرس كان هو حلقات الدرس أو الفتوى ورحاب المدارس والمساجد وسط جمهور الطلبة والمهتمين بالعلم.

أدى الانتماء إلى مجال ثقافي واحد إلى انشغال بعض أهل العلم بتحقيق تطلعاتهم ورغباتهم في احتلال مواقع اجتماعية تليق بهم، بوضع خبراتهم رهن إشارة الأمراء سواء في الأندلس أو المغرب، وهذا في فضاء البلاطات ككتاب أو كمستشارين أو قضاة. وعلاوة على التدريس والقضاء استعمل أهل الأندلس في مختلف الأجهزة الإدارية وذلك منذ العصر المرابطي، وقد أسندت إليهم مهام محددة كديوان الإنشاء والنظر في الأشغال وضبط الجبايات وأضافوا إليها منصب الحجابة عندما التجؤا إلى بلاد المغرب. فقد استعمل علي بن يوسف



المرابطي(500-537هـ/1106-1142م)، عددا من الفقهاء الأندلسيين كمستشارين لحاجته إلى خبراتهم.<sup>(35)</sup>

وقد ضرب الأندلسيون أروع الأمثلة في طول الغياب وتحمل الغربة عن بلادهم من أجل العلم ، ولجأوا لتخفيف عبء الرحلة الفردية و مشاقها إلى الرحلة الجماعية. وكانت رحلاتهم تستغرق فترات طويلة من الزمن يقضونها في البحث و الدرس. فأقام محمد بن قاسم القرطبي(ت: 327هـ/938م) في رحلته أربعة أعوام وأربعة أشهر(294هـ)، سمع بمصر ومكة و الكوفة و البصرة و بغداد و طرابلس و القيروان و سمع من 163 رجلا، كان عالما بالفقه و علم الوثائق مشاورا في عهد الخليفة الناصر.<sup>(36)</sup>

كانت رغبة الأندلسيين شديدة بإثراء معرفتهم العلمية، ولم يبق مركز من المراكز الفكرية في المشرق إلا وطأه الأندلسيون طلبا للعلم. و من العلماء الذين هاجروا من المشرق إلى الأندلس و ساهموا في حركته الثقافية و الفكرية، أحمد بن علي الباغاني قدم إلى الأندلس بقرطبة سنة 376هـ/986م<sup>(37)</sup>، و كان بحرا من بحور العلم لا نظير له في القرآن و قراءاته و إعرابه و أحكامه و ناسخه و منسوخه، و له كتاب حسن في " أحكام القرآن". استخدمه الخليفة المؤيد هشام بن الحكم مشاورا، توفي سنة 401هـ. كما قدم من الموصل صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي أيام هشام بن الحكم، في سنة 380هـ، و كان عالما باللغة و الآداب و الأخبار. ألف كتابا: الفصوص في الآداب و الأشعار و الأخبار. توفي سنة 417هـ.<sup>(38)</sup>

خاتمة

من خلال الرحلة يتضح أن العالم الإسلامي خلال الفترة المدروسة كان وحدة ثقافية في إطار الاتصال الوثائقي له كيان فكري واحد. ويلاحظ في تراجم ابن بشكوال أنه يذكر البلدان التي ارتحل إليها المترجم لهم من العلماء. فرحل الأندلسيون في بداية نشاطهم العلمي في طلب العلوم الدينية إلى المدينة باعتبارها مركز العلم والمنبع الأصيل. ولما اتسعت دائرة الانشغال بالعلوم الأخرى كالرياضيات و الفلك و الفلسفة و الطب اتجه المعتنون إلى بغداد مركز هذه العلوم. و أثمرت الرحلات العلمية للأندلسيين فعاد الكثير منهم بعلم واسع.

الهوامش:

(1) محمد عبد الله، عنان، دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، 1966م، القسم الثالث، ، ص: 14.



- (2) يصور ابن الخطيب هذه الحالة بقوله: "ليس لأحدهم في الخلافة إرث ولا في الإمارة سبب ولا في الفروسية نسب، واقتطعوا الأقطار، واقتسموا المدائن الكبار وجبوا العمالات وجندوا الجنود وقدموا القضاء، وانتحلوا الألقاب وكتبت عنهم الأعلام..." للمزيد راجع: لسان الدين، ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بوع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، (تحقيق: ليفي بروفصال)، بيروت، 1956م، ص: 144.
- (3) أبو العباس أحمد، ابن خلكان، وفیات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق: يوسف علي طویل ومريم قاسم طویل)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998م، ج2، ص: 203.
- (4) ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضاعي البلسي، التكملة لكتاب الصلة، (تحقيق: عبد السلام الهراس)، لبنان: دار الفكر للطباعة، 1415هـ/1995م، ج1، ص ص 148-150.
- (5) ابن العماد، الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، بدون تاريخ، ج4، ص: 262.
- (6) ابن بشكوال، الصلة، مقدمة المحقق، ص ص: 12-15.
- (7) Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édition, Leiden, Brill, 1965, 2.T3.p.756.
- (8) مثل أحمد بن محمد الأنصاري الواعظ، توفي بشرق الأندلس في نحو خمسمائة: ابن بشكوال: ترجمة: 159، ج2، ص75.
- (9) أحمد بن قاسم بن محمد بن أصبغ البياني، محدث، توفي سنة ثلاثين وأربعمائة، ابن بشكوال، ترجمة: 98، ج1، ص54.
- (10) الحسن بن حفص أبا علي، أندلسي، ابن بشكوال: ترجمة 309، ج3، ص125.
- (11) محمد، بن عبيد جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، تطوان: المعهد الجامعي للبحث العلمي، 1408هـ/1987م، ص238.
- (12) محمد بن جهور، رئيس قرطبة توفي معتقلا بشلطيش من قبل المعتمد على الله سنة 462هـ، ومولده سنة 391هـ، ابن بشكوال، ترجمة: 1198، ج9، ص429.
- (13) ابن بشكوال: ترجمة: 71، ج1، ص46.
- (14) نفسه: ترجمة: 1388، ج10، ص ص 487—488.
- (15) نفسه: ترجمة: 1460، ج10، ص511.
- (16) نفسه: ترجمة: 575، ج5، ص219.
- (17) نفسه: ترجمة: 575، ج5، ص219.
- (18) نفسه: ترجمة: 1206، ج9، ص ص 432-431.
- (19) ترجمة: 1333، ج10، ص ص 473.
- (20) نفسه: ترجمة: 28، ج1، ص ص 31.
- (21) نفسه: ترجمة: 468، ج4، ص ص 181-180.
- (22) نفسه: ترجمة: 969، ج7، ص357.



- (23) نفسه: ترجمة: 866، ج 7، ص ص 322-323.
- (24) نفسه: ترجمة: 1281، ج 9، ص 453.
- (25) بدخول المرابطين بالأندلس تم القضاء على نحلة برغواطة. ويرجع اتصال برغواطة بالأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر حيث وفد إليه رسول برغواطة أبو صالح زمور بن موسى بن هشام بن واردزين البرغواطي من قبل أمير برغواطة أبي منصور عيسى بن اليسع بن صالح بن طريف البرغواطي سنة 352هـ/963م، انظر: عبد العزيز، الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية (جمع وتحقيق: أحمد ميلاد و محمد إدريس)، تقديم ومراجعة: حمادي الساحلي، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1410هـ/1990، ص ص 146-152.
- (26) يورد العالم الأندلسي أبو بكر بن عربي (ت: 543هـ/1148م)، اسم محمد ابن مسرة (ت: 931هـ/931م)، كمثل على "قوم من الضلال، كان يعتقد أنهم من الباطنية"، للمزيد راجع: أبو بكر بن عبد الله بن العربي، العواصم من القواصم (تحقيق: عمار طالبي)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1981، ج2، ص 493. وكان محمد ابن مسرة أحد ثمانية أندلسيين، اتهموا بالزندقة بين القرنين الثاني والخامس الهجريين/الثامن والحادي عشر الميلاديين، وجاء اتهامهم بالزندقة لأنه نادى بأراء المعتزلة، ولم يقدر إلى المحاكمة، وصدرت ضدهم مراسيم في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث (300-350هـ/912-961م)، وحفلت بكلمات من نوع: بدعة، هوى، فتنة، زيف، ظلال، وإلحاد. ومع أنه تم إحراق كتبهم، إلا أنهم منحوا فرصة التوبة، التي لم تكن تتاح للمتهمين بالزندقة، انظر: سلعى الخضراء، الجيوسي، المرجع السابق، ج 2، ص ص 1249-1250.
- (27) ترجمة: 815، ج 6، ص 306.
- (28) من المسلم به أن شيوخ الأندلس في الفقه والحديث تمتعوا بمكانة مرموقة في المجتمع الأندلسي، وبخاصة في عهدي الإمارة والخلافة الأموية، فكان بنو أمية يستشيرونهم في أمور الدين والدنيا، ومن أشهر هؤلاء الشيوخ: يحيى بن يحيى الليثي (ت: 234هـ/847م)، وبقي بن مخلد (ت: 276هـ/889م)، ومنذرين سعيد البلوطي (ت: 355هـ/970). للمزيد حول شيوخ الأندلس، راجع: حسين، مؤنس، شيوخ العصر في الأندلس، ط2، القاهرة: دار الرشاد، 1417هـ/1997، ص ص 59-65.
- (29) ترجمة: 1049، ج 8، ص ص 383-384.
- (30) ترجمة: 595، ج 5، ص 228.
- (31) ترجمة: 1210، ج 2، ص 184.
- (32) ترجمة: 610، ج 1، ص 366.
- (33) محمد، الشريف، الغرب الإسلامي، نصوص دنيئة ودراسات، ط2، تطوان: منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، 1999، ص ص: 103-104.
- (34) ترجمة: 1412، ج 10، ص ص 496-497.



<sup>(35)</sup> معلوم أن هذا التوجه حوشر خلال عهد الموحدين وانحصر دور الأندلسيين في الجانب الإداري المحض. للمزيد راجع: عبد الله، العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1999، ج1، ص 169.

<sup>(36)</sup> ترجمة: 1218، ج2، ص ص 44-46.

<sup>(37)</sup> ترجمة: 185، ج 2، ص ص 84-85.

<sup>(38)</sup> ترجمة: 542، ج 4، ص 201.